الدرس التَّاسع: توجيهُ القراءات عند السَّمين الحلبيِّ رحمه الله (ت:756هـ)

- منْ سُورة الفُرقان -

هذا هو الدَّرسُ التَّاسعُ في (توجيه القراءات عند المفسِّرين)، وهو خاصٌّ بتوجيه شيءٍ من العشر المتواترة عند السمين الحلبيِّ[1] رحمه الله (ت:756هـ)، من خلال تفسيره (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون).

الموضع الأوَّل: قوله تعالى: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا**﴾[الفرقان:18].

– محلُّ الخلاف هو كلمة (نتخذ).

– فقد قرأها أَبُو جَعْفَرٍ بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الْخَاءِ (نُتَّخَذَ)، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْخَاءِ[2].

– قال السَّمينُ الحلبيُّ رحمه الله (ت:756هـ): «وقرأ العامَّةُ (نَتَّخِذَ) مبنياً للفاعل. و(من أولياء) مفعولُه، وزِيْدَتْ فيه (مِنْ). ويجوز أن يكونَ مفعولاً أولَ على أنَّ (اتَّخَذ) متعديةٌ لاثنين، ويجوز أَنْ لا تكون المتعديةَ لاثنين بل لواحدٍ، فعلى هذا (مِنْ دونِك) متعلِّقٌ بالاتِّخاذ، أو بمحذوفٍ على أنَّه حالٌ مِنْ (أولياء).

وقرأ أبو الدَّرْداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء والحسن وأبو جعفر في آخرين (نُتَّخَذ) مبنيًّاً للمفعول. وفيه أوجهٌ، أحدُها: أنَّها المتعديةُ لاثنينِ، والأولُ همز ضمير المتكلمين. والثاني: قولُه: (مِنْ أولياء) و(مِنْ) للتبعيضِ أي: ما كان ينبغي أَنْ نَتَّخِذَ بعضَ أولياء، قاله الزمخشري. الثاني: أنَّ (مِنْ أولياء) هو المفعولُ الثاني أيضاً، إلاَّ أنَّ (مِنْ) مزيدةٌ في المفعولِ الثاني. وهذا مردودٌ: بأنَّ (مِنْ) لا تُزاد في المفعول الثاني، إنما تُزاد في الأولِ. قال ابن عطية: «ويُضْعِفُ هذه القراءةَ

---

[1] هو: أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي، المعروف بالسمين، نزيل القاهرة، إمام كبير في القراءة والتفسير والعربية. يُنظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص152.

[2] يُنظر: ابن الجزري، النشر، ج2، ص333.

دخولُ (مِنْ) في قوله: (مِنْ أولياء). اعتَرَض بذلك سعيدُ بن جبير وغيرُه». الثالث: أَنْ يكونَ (مِنْ أولياء) في موضعِ الحالِ. قاله ابن جني إلاَّ أنه قال: «ودَخَلَتْ (مِنْ) زيادةً لمكانِ النفيِ المتقدم، كقولك: ما اتَّخذت زيداً مِنْ وكيل». قلت: فظاهرُ هذا أنه جَعَلَ الجارَّ والمجرورَ في موضعِ الحالِ، وحينئذٍ يَسْتحيلُ أَنْ تكونَ (مِنْ) مزيدةً، ولكنه يريدُ أنَّ هذا المجرورَ هو الحالُ نفسُه، و(مِنْ) مزيدةٌ فيه، إلاَّ أنه لا تُحفظ زيادةُ (مِنْ) في الحالِ وإنْ كانَتْ منفيةً، وإنما حُفِظ زيادةُ الباءِ فيها على خلافٍ في ذلك»[1].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا**﴾[الفرقان:61].

– محلُّ الخلاف هو كلمة (سراجا).

– فقد قَرَأَها حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ بِضَمِّ السِّينِ وَالرَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ (سُرُجًا)؛ عَلَى الْجَمْعِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَأَلِفٍ بَعْدَهَا (سِرَاجًا) عَلَى الْإِفْرَادِ[2].

– قال السَّمينُ الحلبيُّ رحمه الله في توجيهها: «قوله: ﴿**سِرَاجاً**﴾: قرأ الجمهورُ بالإفراد، والمرادُ به الشمسُ، ويؤيِّده ذِكْرُ القمرِ بعدَه.

والأخَوان: (سُرُجاً) بضمتين جمعاً، نحو حُمُر في حِمار، وجُمِعَ باعتبارِ الكواكبِ النيِّرات، وإنما ذُكِرَ القمرُ تَشْريفاً له كقولِه: (وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ)[البقرة:98] بعد انتظامِهما في الملائكةِ.

وقرأ الأعمش والنخعي وابن وثاب كذلك، إلاَّ أنه بسكونِ الراءِ تخفيفاً، والحسن والأعمش والنخعي وعاصم في روايةِ عصمة (وقُمْراً) بضمةٍ وسكونٍ، وهو جمع قَمْراء كحُمْر في حَمْراء. والمعنى: وذا ليالٍ قُمْرٍ منيرا، فحذف المضافُ، وأُقيم المضافُ إليه مُقامه، ثم التفتَ إلى المضاف بعد حَذْفِه فوصفَه بـ(منيرا)، ولو لم يَعْتَبِرْه لقال: منيرةً»[3].

---

[1] السمين الحلبي، الدر المصون، ج8، ص465-466.

[2] يُنظر: ابن الجزري، النشر، ج2، ص334.

[3] السمين الحلبي، الدر المصون، ج8، ص495.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾[الفرقان:68-69].

– محلُّ الخلاف هو كلمتا (يضاعف ويخلد).

– فقد قرأهما ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ بِرَفْعِ الْفَاءِ وَالدَّالِ (يُضَاعَفُ ويَخْلُدُ)، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِجَزْمِهِمَا، وَقرأ أبو جَعْفَرٍ بتشديد العين والنون في أوله (نُضَعِّفْ)[1].

– وقد وجَّه الحلبيُّ هذه القراءات وزادَ عليها في قوله: «قوله: (يُضَاعَفْ): قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع (يُضاعَفُ ويَخْلُدُ) على أحدِ وجهين: إمَّا الحالِ، وإمَّا على الاستئنافِ. والباقون بالجزم فيها، بدلاً من الجزاء بدلَ اشتمال. ومثلُه قولُه:

متى تأتِنا تُلْمِمْ بنا في ديارِنا * تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تَأَجَّجا

فأبدلَ من الشرطِ كما أبدل هنا مِنَ الجزاءِ. وابنُ كثير وابنُ عامرٍ على ما تقدَّم لهما في البقرةِ من القَصْر والتضعيفِ في العين، ولم يذكرِ الشيخُ ابنَ عامرٍ مع ابنِ كثير، وذكرَه مع الجماعة في قراءتهم.

وقرأ أبو جعفر وشيبة (نُضَعِّفْ) بالنون مضمومة وتشديدِ العين، (العذابَ) نصباً على المفعول به. وطلحة (يُضاعِف) مبنياً للفاعل أي اللَّهُ، (العذابَ) نصباً. وطلحة بن سليمان و(تَخْلُدْ) بتاءِ الخطابِ على الالتفاتِ. وأبو حيوةَ (وُيخَلَّد) مشدداً مبنياً للمفعولِ. ورُوِي عن أبي عمروٍ كذلك، إلاَّ أنه بالتخفيف»[2].

[1] يُنظر: ابن الجزري، النشر، ج2، ص334.

[2] السمين الحلبي، الدر المصون، ج8، ص503.